الفصل الثاني

البشرى بأمة محمد

١ ـ ٢. إدانة بني إسرائيل:

هذا هو الكتاب الثاني للنبي عزرا. وهو ابن سيرايا وحفيد عزريا ويرتفع نسبه إلى ـ حلقيا ـ شالوم ـ صادوق ـ أحيطوب ـ إحيا ـ فنحاس ـ إيلي ـ عمرايا ـ عزريا ـ مريوث ـ عرنا ـ عوزي ـ بوريث ـ أبي شوع ـ فنحاس ـ العازر ـ هارون. كاهن بني إسرائيل ونبيهم.

أنا عزرا. كنت مأسورا في ميديا أثناء حكم الملك الفارسي أرتحششتا. أمرني مولاي رب العالمين قائلا: اذهب إلى بني إسرائيل وذكرهم بآثامهم وخطاياهم التي اقترفتها أيديهم، وليخبروا أولادهم وأحفادهم بذنوبهم. لقد أثم هذا الجيل وأخطأ تجاهي أكثر مما أخطأ آباؤهم، ذلك أنهم نسوا ذكري وقدموا الأضاحي والقرابين لآلهة الأجانب.

ذكّر بني إسرائيل يوم أنجيتهم من ذل العبودية في مصر. يومها فعلوا أشياء أحفظتني عليهم فحلّ عليهم غضبي. لقد أصموا آذانهم عن سماع تحذيراتي. إن عصيانهم أوامري ورفضهم شريعتي تدفعك لتلعنهم وأنت تشدّ شعرك غيظاً وحنقاً، متمنياً لهم الكوارث والنكبات التي يستحقونها. إلى متى أبقى متسامحاً مع هذا الشعب الذي فعلت من أجله الكثير؟

لقد صبرت عليهم طويلاً. ومن أجل خلاصهم أهلكت ملوكاً عديدين. سحقت فرعون وجنوده، أغرقتهم في اليم. لقد حطمت الأمم التي اعترضت طريقهم. شتت جيرانهم في صيدا وفي صور. وأفنيت جميع أعدائهم.

عزرا. أخبرهم أني جاوزت بهم البحر. ومهدت أمامهم طرقاً آمنة في القفر الموحش. لقد جعلت موسى قائد هم وهارون كاهنهم. وأرسلت أمامهم عمود نور يرشدهم إلى الطريق وسط الصحراء. صنعت لهم المعجزات والخوارق، ولكنهم نسوني.أرسلت لهم طائر السلوى طعاماً لهم ودليلاً على عنايتي بهم. زودتهم بالخيام تحميهم من لفح حر الصحراء. فعلت كل ذلك من أجلهم، ولم يكن منهم سوى التذمر. إنهم لم يتحسسوا مساعدتي لهم، ولم يشكروني عندما كنت أهزم لهم أعدائهم، ولم يكن لهم عمل سوى التذمر.

يا بني إسرائيل، هل نسيتم البركات التي أنعمت بها عليكم هناك في الصحراء، حيث كنتم جوعى وعطشى تبكون وتصيحون وتقولون لموسى: لماذا أخرجتنا إلى الصحراء؟. ألتقتلنا؟. لقد كان حالنا أفضل في ظل عبودية المصريين.

لقد سمعت أنينكم وأشفقت عليكم وأرسلت إليكم المن (نبات يدعى خبز الملائكة ـ من الفطريات) لتشبعوا. وفجرت لكم من الصخرة عين ماء تروي ظمأكم وتقضي احتياجاتكم. زودتكم بالأشجار تتفيؤون ظلالها وتحميكم من

حر الشمس. أقطعتكم الأراضي الخصبة وطردت من أمامكم الكنعانيين والفرزيين والفلسطينيين. وكل من حاول اعتراض تقدمكم. وماذا تنتظرون مني أن أقدم لكم أو أن أفعل من أجلكم أكثر من هذا.

أنسيتم يوم وقفتم في الصحراء عطشى أمام بركة الماء المرّ، تشتمون وتلعنون؟ وبدلاً من أن أعاقبكم وأرسل عليكم ناراً تستأصلكم، بدلاً من ذلك رحمتكم وهديت موسى إلى أغصان شجرة يابسة تجعل الماء المرّ حلواً.

يا بني إسرائيل ماذا تظنون أني فاعل بكم..؟.

٢ ـ ٢. أمة محمد بدلاً من بني إسرائيل.

يا أولاد اليهود لقد عصيتم أوامري لذلك سوف أحوّل وجهي تجاه شعب آخر. أجعله خاصتي وتحت إشرافي وعنايتي. يتمسك بشريعتي ويعمل بها.

أما أنتم فلأنكم ابتعدتم عني فلسوف أهجركم. وإن استعطفتموني فلن أرحمكم. وإن صليتم لي فلن أتقبل صلاتكم. ذلك لأنكم لم تترددوا عند ارتكاب جرائمكم. وها إن أيديكم لاتزال ملطخة بالدم الزكي الطاهر الذي سفتكموه.

لقد ارتدّ إليكم عملكم الشرير، وحاق بكم مكركم السّيِّئ. لقد رعيتكم كما يرعى الوالد أبناءه. حنوت عليكم كما تحنو الأم على بناتها. عطفت عليكم كما تعطف المرضعة على فلذها. أعطيتكم فرصة لتكونوا شعبي وأكون إلهكم. لتكونوا لي أبناء وأكون لكم أباً. لقد بسطت عليكم ظل حمايتي كما تبسط الدجاجة أجنحتها لتحمي أفراخها.

والآن ماذا تظنون أني فاعل بكم؟..

سأعاقبكم. ولن تشملكم بعد الآن رعايتي. لن أتقبل منكم القرابين والأضاحي. سوف أعرض عنكم. لن أهتمّ بأعيادكم ولا باحتفالاتكم. وأما ختانكم الذي تتباهون به فلا أهمية له عندي. لقد بعثت إليكم رسلاً وأنبياء فقتلتموهم ومثلتم بجثثهم ولسوف تدفعون ثمن جرائمكم. سأجعل هيكلكم مهجوراً. سأشتتكم

وأبعثركم كما تبعثر الريح كومة تبن. وأما أولادكم فلن يكون لهم كرامة أو كيان بعد اليوم لأنهم مرتدّون عن تعاليمي يقلدونكم بفعل ما أكره.

سأعطي بلدكم لشعب جديد يوشك على الظهور. هذا الشعب يؤمن بي رغم أنه لم يسمع بي من قبل. سيفعلون كل ما آمرهم به رغم أني لم أساعدهم بالخوارق والمعجزات. ولم أبعث إليهم بالرسل والأنبياء. إنهم سيحيون تعاليم إبراهيم[1] القديمة. لقد أعطيت وعدي القاطع بأني سوف أباركهم هم وأولادهم. لأن إيمانهم حقيقي وعميق يكمن في قلوبهم ويفيض على جوارحهم. إنهم لم يروني ومع ذلك يؤمنون بي ويتبعون كلامي الذي أوحيه إليهم.

أيها الأب عزرا. انظر بفخر واعتزاز إلى أولئك الآتين من الشرق[2] الذين جعلوا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب وباقي الأنبياء قدوة لهم يسيرون في الطريق الذي رسموه لهم.

لقد أنقذت بني إسرائيل من الذل والعبودية في مصر وأعطيتهم الشريعة والكتاب، ولكنهم أصموا آذانهم وتجاهلوا أوامري ورفضوا تعاليمي.

٣ ـ ٢. مدينة القدس للمسلمين.

مدينة السلام المقدسة تنادي أبناءها المسبيين في بابل. يا أبنائي عودوا إلى الصراط المستقيم. لقد أصبحت كأرملة فقدت مؤنسها. لقد ابتهجت بمولدكم ولكنكم مشيتم في طريق الشر والغواية وعصيتم أوامر الرب العظيم وفعلتم كل إثم وضلال. وعندما فقدتكم بكيت عليكم بحرقة ومرارة وحزنت عليكم كثيراً. والآن أنا أرملة وحيدة ولا أستطيع أن أفعل من أجلكم شيئاً. لذلك اتجهوا يا أولادي نحو اللّه واسألوه الرحمة.

---

(١) لم يذكر اسم إبراهيم في النص الإنكليزي وإنما ذكر التعاليم القديمة.

(٢) ربما كان الأصل من الجنوب بدلاً من الشرق.

أيها الأب عزرا. أدعوك لتشهد ضد بني إسرائيل كما شهدت عليهم أمهم القدس. لقد رفضوا أن يحفظوا عهدي؛ لذلك سوف أعاقبهم بالفوضى والاضطراب. سأدمر مدينتهم التي لن يسكنها أحفادهم. سيتفرقون بين الأمم ولن يذكرهم أحد بخير لأنهم استخفوا بعهدي.

أيها الأشيريون (غير الآشوريون. سكنوا بين جلعاد ويزرعيل) عقابكم أليم وفظيع لأنكم سمحتم لأعداء الدين بالاختباء داخل حدودكم.

أيتها الأمة الأثيمة تذكري ما فعلته بقرى لوط (سدوم وعمورة) فأرضها لاتزال مغمورة بكتل القطران وأكوام الرماد. وهذا ما أفعله بمن يعصي أوامري.

أيها الأب عزرا. أعلن بأن مدينة القدس لن تكون بعد اليوم لبني إسرائيل. سأهبها لشعبي الجديد. وسأحرم بني إسرائيل من الإشراقات القدسية. وسأهدي نور النبوة لشعبي الجديد. سأعطيهم المسجد الأبدي الخالد. الذي كنت قد أعددته لبني إسرائيل. وستملأ شجرة الحياة الروحية الأرض من حولهم وعبق عبيرها ينتشر بين الأمم.

سأبارك لهم في عملهم. ولن يتعبوا في تحصيل رزقهم وسيعطون كل ما يطلبون.

عزرا. ادع اللّه أن يقرّب أيام ظهور المملكة التي أهيئها للوجود. ولتشهد الأرض والسماء بأني أنا اللّه الحيّ خالق الخير وماحي الشر.

وأنت يا قدس يا مدينة السلام افتحي ذراعيك لتستقبلي أبناءك الجدد. وسددي خطاهم ليسلكوا الطريق القويم. ابتهجي بسموهم كما تبتهج الحمامة عند طيران صغارها.

أنا اللّه اخترتك مدينة مقدسة. إني أستعد لكي أنفخ نسمة الحياة في أجساد سكانك الجدد الذين سأخلقهم ليكونوا شعبي المختار.

يا قدس لاتجزعي من الآتين الجدد. فأنا اخترتك لهم واخترتهم لك. وسأرسل ما وعدت به رسوليّ أشعيا وإرميا. وسأمنحك اثني عشر رئيساً[1] خيرهم عميم كاثنتي عشرة شجرة محملة بأنواع الفواكه. أو كاثنتي عشرة عيناً تفيض بالسمن والعسل وستكتسي جبالك السبعة بأنواع الورد والرياحين. وسيسعد أبناؤك الجدد هناك في مجتمع الرحمة والمحبة، حيث لاتهضم حقوق الأرامل، ولايؤكل مال اليتيم. وسيكتسي الفقير ويُجبر خاطر المسكين. لن يسخر أحد من المقعدين، ولن يتعدى أحد على الضعفاء والمساكين. سيوجد من يخفف الأسى عن المكفوفين[2] ويفتح عيون قلوبهم على حقائق الإيمان. سيعيش الشباب والشيوخ في أمنٍ وسلام في ربوع القدس. وسيكون للأموات كرامة فيدفن كل واحد منهم في قبر خاص به يحمل دلالة عليه.

سيكون لك يا مدينة القدس كرامة وشرفٌ حينما يهب شعبي الجديد من رقاده. كن مطمئنا يا شعبي الجديد فقد اقترب زمانك. وأنت يا مدينة القدس استقبلي أبناءك الجدد بمحبة وسددي خطاهم على الطريق السوي، حتى لايضيع واحد منهم أو يشذ. وعندما يحين وقتهم سوف أعلي جاهك لتتمكني من إيفاء التزاماتهم. يا قدس لاتجزعي أيام الفتن والمتاعب فعندما

---

(١) جرى إضافة اثني عشر رئيسا ليتم المعنى. وهو وعد الله لإبراهيم بأن سيكون من إسماعيل اثنا عشر رئيسا وهؤلاء هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم الذين ملؤوا الدنيا بالعدل والسلام وفاض الخير على أيديهم وفي زمانهم. حتى لم يبق فقير أو كسير.

(٢) انظر تاريخ الوليد بن عبدالملك وغيرهم من خلفاء المسلمين الذين اعتنوا بإنشاء البيمارستانات وخصص الوليد لكل أعمى رجلاً يقوده ويعتني به وذلك لأول مرة في التاريخ.

تبكي وتندب المدن الأخرى يحفظك اللّه. ستصبحين سعيدة وغنية. وستحسدك المدن الأخرى لمكانتك. ولن تمتد إليك يدٌ بالشر أو الأذى. فسأحميك بقوتي. ابتهجي لأن جهنم لن تكون من نصيب أبنائك بعد موتهم.

تذكري يا قدس دائماً أبناءك الجدد المخبوئين في ظهر الغيب سأظهرهم من مكمنهم. أمسكي بالطيبين من أبنائك حتى يحين وقت مجيء شعبي الجديد. أخبريهم عن فضلي ورحمتي المتدفقين كينبوع لاينضب.

٤ ـ ٢. بشرى إلى الأمم. بشرى إلى عبّاد الوثن.

يقول عزرا: عندما كنت في جبل سيناء أمرني الرب بالتوجه إلى بني إسرائيل لكي أبلغهم رسالته، ولكنهم رفضوني ولم يصغوا إلى أوامر اللّه. لذلك أتوجه بخطابي إلى الأمم إلى عبّاد الوثن: أيها الناس هل أنتم مستعدون للاستماع؟

هل تريدون أن تفهموا وأن تتعلموا.؟

إذاً انتظروا فقريباً جداً سيأتي نبيكم الذي سيرعاكم. إنه نبي آخر الزمان. إنه سيجلب لكم الراحة الأبدية الدائمة. استعدوا لاستقبال دولة الإيمان حيث تغمركم البركات ويعمر قلوبكم نور اللّه إلى الأبد. تحرروا من ظلام العصر الحاضر، واقبلوا الفرح الآتي المعد لكم.

الرب يدعوكم ويقول لكم: آمنوا برسولي الذي أشهد له علانية وجهراً بوضوح وعلى رؤوس الملأ[1] أنه رسولي منقذ الإنسانية. افرحوا به واشكروا اللّه على هدايته لكم وقبوله إياكم في دولة الإيمان. استعدوا لرؤية العديد من المؤمنين الذين جعل اللّه سيماهم في وجوههم. لقد خرجوا من ظلام الشرك إلى نور الإيمان يرتدون الثياب البيضاء رمز الطهر والإيمان.

---

(١) أذان المسلمين من فوق المآذن كل يوم خمس مرات في كل المساجد وفي معظم المدن والقرى في العالم (أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه).

يا قدس استقبلي المؤمنين بشريعة اللّه أولئك الذين ستكتمل بهم مجموعة المؤمنين الذين أشار اللّه إليهم في كتبه.

يا قدس ادعي اللّه أن تأتي دولة الإيمان وشعب اللّه الذي اختاره وقدّسه قبل خلق العالم.

٥ ـ ٢. على جبل عرفات.

يقول عزرا: رأيت حشداً هائلا متجمعا على الجبل المقدس. كانوا جميعا يهللون ويكبرون ويحمدون اللّه تعالى. وقد وقف في وسطهم رئيسهم وهو شاب مديد القامة. أرفع شأناً من[1] الجميع يمنحهم أكاليل النصر وتيجان الفخار. يضعها على رؤوس الحاضرين.

كان منظراً مهيباً رائعا يخلب اللب ويأسر الفؤاد. فسألت الملاك الواقف بجانبي: من هؤلاء القوم يا سيدي؟

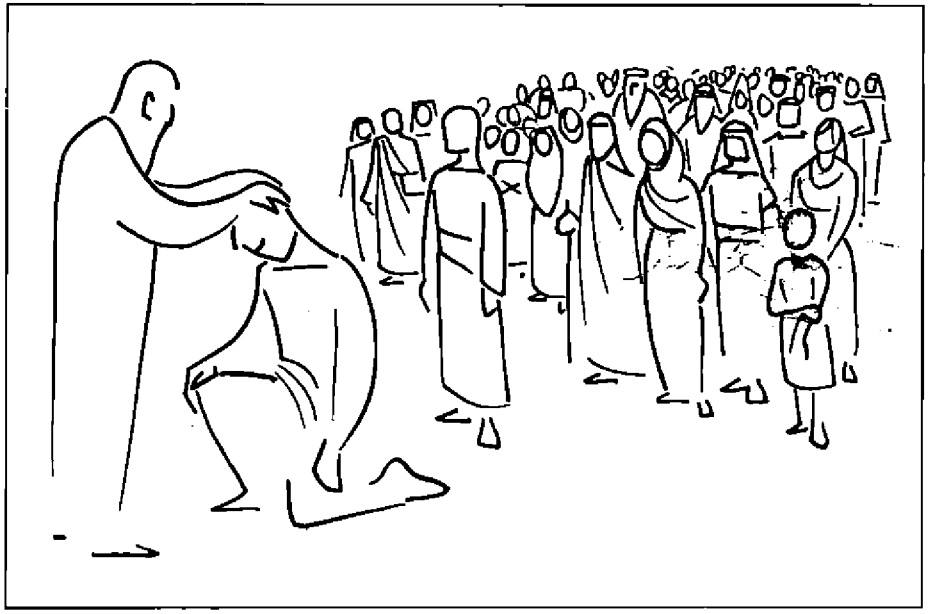

(١) وقف النبي صلى اللّه عليه وسلم على جبل عرفات يبارك المسلمين ويبين لهم أمور دينهم.

قال: هؤلاء قوم أسلموا لله قلوبهم. سمت نفوسهم وتطهرت أرواحهم. خلعوا العلائق المادية الفانية، ولبسوا ثياب الروحية الخالدة. لذلك تفوقوا وانتصروا وهذه الأكاليل والتيجان وأغصان النخيل التي يتقلدونها جوائز انتصارهم.

سألت الملاك: من ذاك الرئيس الذي يضع التيجان على رؤوسهم ويسلمهم أغصان النخيل؟

أجاب الملاك: إنه عبد اللّه[1] وهؤلاء الذين وقفوا حوله هم الذين جهروا بإيمانهم علانية رغم الاضطهاد الذي أصابهم ممن حولهم.

نظرت بإعجاب وإكبار إلى أولئك الأبطال المؤمنين.

بعد ذلك قال لي الملاك: إذهب وأخبر بني إسرائيل بما رأيت وشاهدت من عجائب قدرة اللّه الخارقة.

(١) في الأصل ابن اللّه. وكلمة ابن اللّه في الكتب المسيحية واليهودية تعني نبي اللّه.